د. سلاف بوحلايس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المادة: نظريـــــة القــراءة والتأويل
-الاختصاص: نقد ومناهج –الليسانس-
المستوى: السداسي السادس

عنوان الدرس: نصوص ج ب ريشارد "العالم التخيلي لمالارميه"

عناصر الدرس

تمهيد

1. مقطع من السيمفونية الأدبية لمالارميه
2. القراءة الموضوعاتية جون بيار ريشارد
3. خصائص القراءة الموضوعاتية لجون بيار ريشارد

تمهيـــــد

يتميز نقد ج. ب. ريشار في مجمله بأنه قراءة تسعى لفهم النص من خلال الموضوع ، حيث يحمل هذا الناقد **الموضوع** في كونه "مبدأ تنظيمي خاص أو دينامية داخلية يمثل وحدة تميز عالم الكاتب زمنية أو حسية أو علائقية مما يحوي المعنى"، وهو منطلق القارئ الموضوعاتي ومرتكزه وغايته.

ويؤكد جون بيار ريشار وظيفة الأدب في أنه "لحظة وعي بهذا النقد الأدبي، فليس الطموح هو الوصول إلى حقائق ثابتة، لأن كل إدراك يرتبط بوضعية وحالة الشخص المدرك، لأن الطرق التي يستعملها النقد في الوصول إلى هدفه ليست من ابتكاره ما دام يستعيرها من العلوم الأخرى (الفينومينولوجية، علم نفس الأشكال، التحليل النفسي، الأنتروبولوجيا، البنيوية، اللسانيات...) التي تكون الأسس المشتركة للمعرفة الإنسانية

1. مقطع من السيمفونية الأدبية لمالارميه:

يقول مالارميه: "على الطريق حيث يندر النبات تتعذب أشجار قليلة. لحاؤها المتألم أعصاب معراة متشابكة يرافق نموها المرئي بلا نهائية، على الرغم من سكون الريح الغريب أنين ' مستمر ومؤثر كأنين الكمان ما أن يبلغ أطراف الأغصان حتى يرتعش في أوراق موسيقية"

2. القراءة الموضوعاتية جون بيار ريشارد:

يرجع الكمان هنا صدى التوتر البودليري، فنحن لا نعلم ما إذا كانت أوتاره مصنوعة من معي القطط أم من عري جذع مسلوخ، والأهم من ذلك أنه يصدر موسيقاه من الأطراف النامية أي عند هذا الطرف الافتتاني من الأغصان، الطرف الحاد لتشكل يتبدى لمالارميه في معظم الأحيان كحد فاصل مفتوح بين الموضوع وفكرته، ولربما ظهرت الشجرة في مكان آخر وقد تفجرت أوراقا حمراء، لكنها وبهدوء تتحول مهزومة إلى موسيقى، وتبقى هذه الهزيمة مؤلمة على الرغم من كل شيء، فقد يوحي أنين الكمان المؤثر تصحبه ارتعاشات الأوراق، بالألم الأخير لموضوعية دفعت للانفصال عن المادة التي كانت حتى ذلك الحين دعامة لها- وذلك لانتزاع النفس من الذات بصورة مثلى.

3. خصائص القراءة الموضوعاتية لجون بيار ريشارد

يرى دانيال برغيز Daniel Bergez أن هذا المقطع مثال نموذجي على منهج ريشار. ويدل تنظيمه استشهاد يتلوه تعليق ـ على أن المنظور الإجمالي هو منظور قراءة أي طريقة في الفهم لا تريد الابتعاد عن **موضوعه** وتسعى إلى إقامة علاقات تجاور معه. لذلك نرى تشديدا على بعض الكلمات في النص المستشهد به ـ وهذا الأمر بحد ذاته لفتة نقدية ـ بينما يستعيد التعليق كلمات من النص يحتويها داخل خطابه الخاص، فصوت المؤلف وصوت الناقد يتداخلان ولا يتمايزان. وتكمن قوة هذه العلاقة المحاكاتية في محوها للخصائص المفرطة في فردانيتها: فالناقد ليس سوى قارئ مجهول ولا يأتي

الناقد على ذكر المؤلف "مالارميه" سوى مرة واحدة مسندا إلى عمله الأدبي. فالعمل الأدبي وحده هو المهم.

ويبقى ريشار هنا -يقول "دانيال برغيز"- وفيا لدرس باشلار الذي أرادنا أن »نحلم« بصورة النص. غير أن حلمه يوجهه على الدوام مشروعه النقدي. فباعتبار أن الأمر يتعلق بدراسة »عالم تخيلي« أن هذا الأخير يرتبط بصيغ العلاقة بالوعي وموضوعاته، فالسؤال الجوهري - المرتبط بالعلاقة - يعود بإلحاح عند توضيح العبور من الموضوع إلى فكرته

ويحدد **الموضوع** في العمل الإبداعي – بحسب ما أورد الناقد عبد الكريم حسن- من خلال العلاقة اللغوية المبنية على الاشتقاق والترادف والقرابة المعنوية، وقد حاول هذا الناقد أن يمزج **الموضوعاتية بالبنيوية** ويستقي من **إجراءات التحليل النفسي**، "فالتحليل عنده هو بحث عن المعنى وهذا البحث وصفي بشكل خاص كما أنه نفسي أحيانا أخرى "، مستضيئا في كل ذلك بتجربة أستاذه غاستون باشلار.

ويرسخ ج.ب. ريشار فكرة أن مدلولات الكلمات المفاتيح المشكلة للموضوع لا ترد بطريقة إجمالية، تدفع المحلل الموضوعاتي إلى تقصي التمظهرات المختلفة في الأعمال الأدبية قصد تحليلها وكشف المركز الموضوعاتي، والوقوف عند بلاغته وجمالية تكراره مستعينا بالخيال الداخلي المتواجد في مختلف الأعمال الإبداعية. وتظهر أهمية النقد الموضوعاتي عند هذا الناقد من خلال الخطوات الأربع التي أجملها سعيد علوش كما يلي: أولا قراءة عمل أو مجموعة أعمال كاتب والتنقيب عن بنياتها الداخلية، وثانيا التعليم على انتظام الموضوعاتية في مجموع متجانس ومتضاد، وثالثا تكوين صورة عن لاوعي الكتابة عند الكاتب، وأخيرا معاينة معادلة الصور لحياة الكاتب المبكرة.

مصادر ومراجع الدرس:

- مجموعة من المؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ماي، 2007.
- النقد الموضوعاتي (الأسس والإجراءات)، رضوان جنيدي ، عبد الحميد بيقة، مجلة آفاق علمية، مجلد 11، ع04، 2019، المركز الجامعي، تمنراست.